

تفسير البحر المحيط

@ 280 @ الطين ، قال : لأنه خلق لنا ما في الأرض دون نفس الأرض . .
وقد تقدم قبل هذا الإمتنان بجعل الأرض لنا فراشاً ، وهنا امتن بخلق ما فيها لنا وانتصب
جميعاً على الحال من المخلوق ، وهي حال مؤكدة لأن لفظة ما في الأرض عام ، ومعنى جميعاً
العموم . فهو مرادف من حيث المعنى لللفظة كل كأنه قيل : ما في الأرض كله ، ولا تدل على
الاجتماع في الزمان ، وهذا هو الفارق بين معاً وجميعاً . وقد تقدم شيء من ذلك عند الكلام
على مع ، ومن زعم أن المعنى بقوله : ما في الأرض ، الأرض وما فيها ، فهو بعيد عن مدلول
اللفظ ، لكنه تفسير معنى من هذا اللفظ ، ومن قوله تعالى : { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ فِرَاشًا } ، فانتظم من هذين الأرض وما فيها خلقاً ذلك لنا . وقال الزمخشري :
إن أراد بالأرض الجهات السفلية دون الغبراء ، كما تذكر السماء ، ويراد بها الجهات
العلوية ، جاز ذلك ، فإن الغبراء وما فيها واقعة في الجهات السفلية . وقال بعض
المنسويين للحقائق : خلق لكم لبعث نعمه عليكم ، فتقتضي الشكر من نفسك لتطلب المزيد منه
. وقال أبو عثمان وهب لك الكل وسخره لك لتستدل به على سعة جوده وتسكن إلى ما ضمنه لك
من جزيل العطاء في المعاد ، ولا تستكثر كثير بره على قليل عملك ، فإنه قد ابتدأك بعظيم
النعم قبل العمل وقبل التوحيد . وقال ابن عطاء : خلق لكم ليكون الكون كله لك وتكون
فلا تشتغل بما لك عما أنت له . وقال بعض البغداديين : أنعم عليك بها ، فإن الخلق عبدة
النعم لاستيلاء النعم عليهم ، فمن ظهر للحضرة أسقط عنه المنعم رؤية النعم . وقال الثوري
: أعلى مقامات أهل الحقائق الانقطاع عن العلائق : والعطف بثم يقتضي التراخي في الزمان ،
ولا زمان إذ ذاك ، فقل : أشار بثم إلى التفاوت الحاصل بين خلق السماء والأرض في القدر ،
وقيل : لما كان بين خلق الأرض والسماء أعمال من جعل الرواسي والبركة فيها وتقدير الأقوات
عطف بثم ، إذ بين خلق الأرض والاستواء تراخ يدل على ذلك : { قُلْ * أَتُذَكِّرُونَ *
لَتَذَكَّرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمٍ مَّيْنٍ } ، الآية . استوى أهل الحجاز
على الفتح ، ونجد على الإمالة . وقرء في السبعة بهما ، (وفي الاستواء هنا سبعة أقوال)
: أحدها : أقبل وعمد إلى خلقها وقصد من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر ، وهو
استعارة من قولهم : استوى إليه كالسهم المرسل ، إذا قصده قصداً مستوياً من غير أن يلوي
على شيء ، قال معناه الفراء ، واختاره الزمخشري ، وبين ما الذي استعير منه . الثاني :
علا وارتفع من غير تكييف ولا تحديد ، قاله الربيع بن أنس ، والتقدير : علا أمره وسلطانه ،
واختاره الطبري . الثالث : أن يكون إلى بمعنى على ، أي استوى على السماء ، أي تفرد

بملكها ولم يجعلها كالأرض ملكاً لخلقها ، ومن هذا المعنى قول الشاعر : % (فلما علونا
واستوينا عليهم % .
تركناهم صرعى لنسر وكاسر .
%) .

ومعنى هذا الاستيلاء كما قال الشاعر : % (قد استوى بشر على العراق % .
من غير سيف ودم مہراق .
%)